المرأة قديمًا

كانت المرأة في العصور القديمة تُعتبر رهينة عند الرجل له حرية التصرف فيها دون النظر لقيمتها الإنسانية أو النظر لمشاعرها، وربما جاءت الفكرة عند البعض بأن المرأة هي أساس كل الشرور فكانت معاملتها أقسى والخوف منها أكبر .

كانت اليونان في قديم الزمان أكثر الأمم حضارة ورقيًا ومدنية، وكانت أثينا مدينة العلم والحكمة والفلسفة والطب والعلم، ومع هذا كانت المرأة اليونانية لدى الأثينيين تُباع وتُشتري كأنها سلعة من السلع التجارية .

وكانت المرأة عند الفرس قبل الإسلام ينظر إليها نظرة كلها احتقار، وقد استمرت مهضومة الحق مجهولة القدر مظلومة في المعاملة .

فعند الإغريق كانت المرأة تُعد من المخلوقات المنحطة، التي لا تنفع لغير دوام النسل وتدبير المنازل فإذا وضعت المرأة ولدًا دميمًا قصف عليها، وكانت تأخذ المرأة المولود من زوجها بطريق العارية لتلد للوطن أولادًا من رجل آخر، ولم ينل في دور ازدهارها الحضارة اليونانية الحظ من نساء الإغريق سوى بنات الحب والهوى .

وكانت نظرة أرسطو إليها قلما تعلو نظرته إلى العبيد .فالمرأة في اعتقاده كائن ناقص ضعيف الإرادة وليس في وسعها الرقي إلى جانب مراتب الاستقلال الحياة المنزلية حياتها المثالية..ومن الخطأ رفعها إلى قدم الرجال كما حاول أفلاطون في كتاب الجمهورية فقال :شجاعة الرجل في الإمرة وشجاعة المرأة في تأدية الأعمال الوضيعة .

اعتبر القانون الروماني الأنوثة سببًا من أسباب انعدام الأهلية والحجر .فلقد كان للحجر في القانون الروماني ثلاثة أسباب الصغر والجنون والأنوثة .

جاء في شرائع الهند أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي خير من المرأة.

وجاء في شريعة مانو الهندية تخضع المرأة في طفولتها لأبيها وفي شبابها لزوجها وفي ثكلها لأقربائها ولا يجوز ترك أمرها لها .

وتذكر الأساطير اليونانية أن المرأة هي سبب الأوجاع والآلام للعالم كله وذلك لأن الناس في اعتقادهم كانوا يعيشون في أفراح، ولا يعرفون معنى الألم ولا الحزن، ولكن حدث أن الآلهة أودعت أحد الناس صندوقًا وأمرته ألا يفتحه، وكان له زوجة تسمى باندورا ما زالت تغريه بفتحه فانطلقت الحشرات، ومنذ تلك اللحظة أصيب الناس بالآلام والأحزان فلهذا كانت المرأة سببًا في الكوارث، التي حلت بالبشرية كلها نتيجة لفضول المرأة وإغراء زوجها بالعصيان.

وفي سفر اللاوين وما بعده يقول " إذا حبلت المرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين "

وجاء في الإصحاح الحادي والعشرين في سفر الخروج :وأنا أقول لكم إن أعطي السيد لعبده امرأة وولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده، وهو أي العبد يخرج وحده .

وفي التلمود وهو الكتاب الثاني بعد التوراة يقول إن المرأة من غير بني إسرائيل ليست إلا بهيمة؛ ولذلك فالزنا بها لا يعتبر جريمة؛ لأنها من نسل الحيوانات، وكذلك يقرر التلمود عن المرأة اليهودية أنها ليس لها أن تشكو

من زوجها إذا ارتكب الزنا في منزل الزوجية، ويقرر أيضًا أن اليهود ي لا يكون مخطئًا إذا استعمل زوجته بأية طريقة وفي أي مكان من جسمها فهي له يستمتع بها كقطعة اللحم التي يشتريها من الجزار له أن يأكلها مسلوقة أو مشوية حسبما يشاء أو يختار.

وهناك مثل صيني قديم يقول" أنصت لزوجتك ولا تصدقها "

ومثل إيطالي" المهماز للفرس والجواد للفرس الجموح والعصا للمرأة الصالحة والطالحة "

وكانت الأساطير اليونانية القديمة قد اتخذت امرأة خيالية تسمى باندورا ينبوعًا لجميع آلام الإنسان ومصائبه، كما جعلت الأساطير اليهودية حواء العين التي تنشق منها جداول الآلام والشدائد، وغير خاف على أحد ما كان لهذه الأسطورة اليهودية الشنيعة من حواء من تأثير عظيم في سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قبل المرأة وما كان لها من مفعول قوي في حقول القانون والأخلاق والاجتماع عند هؤلاء الشعوب .

ومن أهم الغرائب التي تدل على امتهان المرأة في المجتمع اليوناني القديم أن النظام الاجتماعي عند أعظم مفكريها وهما أفلاطون وأرسطو كان يتضمن شيوعة النساء وإلغاء نظام الأسرة على أن تتكفل الدولة بتربية الأولاد .

وعن الحضارة الرومانية كتب مارشال كان هناك امرأة تزوجت في أحضان ثمانية أزواج في خمس سنوات، وأعجب من ذلك وأغرب ما ذكره القديس مروم340 م240-م عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها، وهي أيضًا الزوجة الحادية والعشرون لبعلها .

ثم بدأت تتغير نظرتهم إلى العلاقات والروابط بين الرجل والمرأة من غير عقد مشروع، وقد بلغ التطرف في آخر الأمر أن اعتبر كبار علماء الأخلاق عندهم أن الزنا شيء عادي .

ثم تطور الأمر أن أصبح استحمام الرجال والنساء في مكان واحد بمرأى من الناس أمرًا عاديًا.

وقديمًا قال كراي سوستلم الذي يعد من أحد أولياء المسيحية في شأن المرأة :هي شر لا بد منه وسوسة جميلة وآفة مرغوب فيها وخطر على الأسرة والبيت ومحبوبة فتاكة ورزق مطلي مموه .

وأما أوروبا المسيحية فقد كتمت أنفاس المرأة باعتبارها مصدرًا للعجز والعهر ومن ما قيل ما قاله ترثوليان أحد أقطاب المسيحية الأولى وأثمنها عن المرأة أنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ناقضة لقانون الله ومشوهة لصورة الله أي الرجل .ويقول كرائي سوستام الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة .

هي شر لا بد منه ووسوسة جبلية، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت ومحبوبة فتاكة ومعطى مموه .. وبالتالي بنيت حياتهم على أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها يجب أن تتجنب ولو عن طريق نكاح وسمي مشروع، وأصبحت العزوبة مقياسًا لسمو الأخلاق، وأصبحت الحياة الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء من جانب وانحطت منزلة المرأة في المجتمع.

فكانت العبودية والمحكومية والمقت العام الذي كان قد لازم المرأة على طول القرون وقدمها هي نفسها الشعور بالكرامة وعزة نفسها فكانت هي بنفسها قد يئست أن لها في الدنيا حقًا تستحقه أو مكانة اجتماعية لها أن تتمتع بها بل كان الرجل قد ركز في نفسها من شعور العبودية ما يجعلها تفتخر بأن تدعو نفسها) داسي (أي أمة لزوجها وتؤمن بنبي ورسالة .. أي اتخاذ امرأة زوجها معبودًا لها وإلهًا .

وقد عقد رجال الكنيسة الفرنسيون سنة 586 م اجتماعًا في بعض ولاياتهم يبحثون هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل؟ هل المرأة تدخل الجنة وملكوت الآخرة؟ هل تعد المرأة إنسانًا له روح يسري عليه الخلود أو غير إنسان، وكان ختام البحث أن قرر المجتمعون أنها إنسان، ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل وهي نسمة فانية لا خلود لها .

أما الجانب الآخر لنظرة الآباء المسيحيين للمرأة فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها يجب أن تتجنب ولو كانت عن طريق نكاح وفي عقد رسمي مشروع؛ ولذلك أصبحت حياة العزوبة مقياسًا لسمو الأخلاق وعلو شانها، وأصبحت العزوبة وتجنب الأزواج من أمارات التقوى والورع وذكاء الأخلاق كما أصبحت الحياة العائلية من أمارات أنماط انحطاط الأخلاق ومهانة الطبع .

كان من كبائر الإثم أن يتزوج الرجل أو المرأة ثانية إذا توفي عن أحدهما زوجه؛ لأن هذا في رأي علماء المسيحية إذعان للشهوات البهيمية وإطلاق لعنان الغريزة الفحشاء، وكانوا يعبرون عن القران الثاني بكلمة الزنا المهذب .

وبعد انتهاء عهد الرق والإقطاع في أوربا بما كان فيه من مآسٍ ومهانة للمرأة جاءت الثورة الصناعية وفي ظل هذه الثورة دفعت المرأة الثمن من جهدها وكرامتها وحاجتها النفسية والمادية، وبعد ذلك نهض فلاسفة أوربا وأولو الرأي منهم نفخوا في أبواق الحرية الفردية للقضاء علي النظام الفاسد .

ومع أوائل القرن العشرين جاءت الحرب العالمية الأولى وقتل ملايين الرجال، وواجهت المرأة قسوة المحنة بكل بشاعتها فقد وجدت ملايين النساء بلا عائل فكانت حتمًا عليها أن تعمل، وكان حتمًا عليها أن تتنازل عن أخلاقها، واستغلت المصانع حاجة المرأة إلى المال فأعطتها أجرًا أقل من أجر الرجل، الذي يؤدي نفس العمل وبعدها استخدمت المرأة الإضراب والتظاهر والخطابة والصحافة، وبالفعل بدأت حركة إصلاح الأحوال للمرأة وتحقيق بعض مطالبها، وسار الأمر إلى تحرير المرأة إلى الوضع الذي ظهر حاليًا .

أما في اليابان : كان للرجل أن يبيع ابنته او زوجته حتى جاء عام1875 م فقضى على هذه العادة

أما في المجتمع الصيني .. ويظهر ذلك في المثل الصيني .. المرأة كالكرة كلما ركلتها برجلك ارتفعت إلى أعلى، وكانت توصف في الكتب الهندية القديمة بأنها المياه المؤلمة التي تغسل المجتمع وتكنسه من السعادة والمال . وكانت الزرادشتية، وهي الديانة الفارسية القديمة في بلاد فارس، تعتبر المرأة مساعدة الأهريمان .. أي الشيطان وأنها تمثل الشر الجسيم.

وفي العصر الجاهلي : فالزوجات منهن فلم يكن لهن الحق و لا ترث؛ لأنها نفسها كانت تورث .. كما يورث المتاع .. فلم يكن الزواج عندهم هو الزواج المتعارف عليه الآن أو الذي ظهر بعد الإسلام في الجزيرة العربية بل يطلقون عليه الزواج أو النكاح .

بل إن قيمة المرأة قد انهارت في هذه المجتمعات بحيث لم يصبح لها أي كيان يُعتد به فقد كانت الأخبار التي تنتقض من شأن المرأة وتدعو إلى ازدرائها قد ذاعت في كل أرجاء العالم ولدى كل الشعوب .

المرأة في المجتمع الكلداني :

كانت المرأة في هذا المجتمع مسلوبة الإرادة والحرية وليست لها أن تبدي رأيًا في أي أمر من الأمور بل لم يكن لها رأي في أمر نفسها فقد كانت خاضعة تمامًا لرب الأسرة، وكان للوالد الحق في أن يبدل زوجته سدادًا للدين .

المرأة عند قدماء الهنود :

المجتمع الهندي القديم كان يعتبر المرأة خطرًا كبيرًا على هذا المجتمع كان يعتبرها لعنة ووباءً فتاكًا ويراها أفظع من الجحيم وأنقع من السم .

كانت المرأة تعتبر مملوكة وينزل الرجل منها منزلة المالك والمعبود، وهي محتوم عليها أن تظل مملوكة لأبيها بكرًا ولبعلها ثيبًا ولأولادها أمًا ثم تُقاد ضحية علي نيران زوجها إذا مات عنها، وتحرم من حقوق الملكية والإرث .

وتلزم بأشد ما تكون من قوانين الزواج من ما يسيغ تسليم الملكية إلى رجل من الرجال بغير رضاها واستصوابها ثم لا يجيز لها أن تتخلص من حيازته إلى آخر أنفاس حياتها، وهي تعتبر بعد ذلك مادة الإثم وعنوان الانحطاط الخلقي والروحي، ولا يسلم لها حتى بوجود الشخصية المستقلة .

لقد تمثلت الأسرة الرومانية في شخص رب الأسرة فهو الوحيد طبقًا للأصول المقررة في القانون الروماني، الذي يعتبر شخصًا من وجهة نظر القانون، وهو بهذه الصورة كان المهيمن وبلا حدود على أموال الأشخاص الخاضعين إليه داخل نطاق الأسرة، وهو الممثل الوحيد لها في علاقاتها مع الغير والقانون لا يعتد إلا بإرادته ،وحده دون باقي أعضاء أسرته.

وهذه سلطة زوجية على الزوجة، وهي سلطة أبوية على كافة الأبناء، وهي سلطة السيد على رفيقه وهي سلطة على كافة ما يمتلكه من أموال .. هذه السلطة كانت أيضًا دائمة ومطلقة لا تحدها حدود، ولم يكن للدولة أن تتدخل في شئون الأسرة ..فكان له أن يقرر عند الولادة ختم المولود الجديد) عائلته أو نبذه أو أن يبيع أبناءه كرقيق فيما وراء النهر أو داخل روما بطريق الإشهاد .. وكان عن طريق التبني يمكن أن يدخل مَنْ يشأ ، كعضو جديد في محيط الأسرة، وله أيضًا أن يزوج أولاده دون الحصول على موافقتهم على الزواج، ولا يستطيعون الزواج دون موافقته، وله أن يحرمهم من الإرث، وله إذا ما خرج أحدهم عن سلطته أن يعيده إلى سلطته بدعوى الاسترداد تمامًا كما كان يفعل بالنسبة إلى أي شيء مملوك له أو بالنسبة إلى الرقيق .

وباختصار لقد ترجمت هذه الحقوق جميعها في حق أكبر تمتع به رب الأسرة في روما، وهو حق الحياة والموت على جميع الخاضعين لسلطته، وجاءت من ثم باقي الحقوق من باب أولى ثابتة له ومؤكدة .. ولكن هذه الصورة الفريدة سرعان ما خفقت مع الزمن والتقدم في صوب آفاق جديدة أكبر إنسانية، ومعها اعترف للخاضعين لرب الأسرة بقبس من الوجود القانوني أدى بهم إلى المسيرة التاريخية إلى الجنوح صوب آفاق الاستقلال .

ومع ذلك فإن المرأة المصرية القديمة نالت حظًا من الاحترام والتقدير لم تنله امرأة سواها على مدى التاريخ القديم .. فنجد أنه كانت المرأة في فجر التاريخ تقف جنبًا إلى جنب مع الرجل في السعي من أجل القوت، ومن خلال هذا النظام العشائري شهدت الإنسانية فضلها الدور الحاسم الذي كانت تلعبه المرأة في الحياة في نظام الحق الأمومي أو الوراثة.

كانت النساء في مصر عام2100 م قبل الميلاد يملكن أكثر الأراضي التي كانت تورث عن طريق النسب الأمومي ومما لاحظه هيرودوت أن البنات وحدهن كن اللائي يحتللن مسئولية إعالة الوالدين المتقاعدين .

المرأة القديمة منذ عهد الدولة القديمة تقلدت منصب الوزير، وشغلت أكثر من منصب في وقت واحد

واستطاعت المرأة بدخولها مجال الطب والجراحة أن تحمل لقب رئيسة الطبيبات مثل السيدة " بشنس والتي دفنت بإحدى المصاطب، التي ترجع إلى الأسرة الرابعة، وهذا هو المثال الأول في العالم للمرأة الطبيبة

وعملت المرأة المصرية في مجالات عربية منها القابلات مديرة إدارة ووكيلة أملاك وسيدة أعمال، وعملت في الجهاز الإداري ومرضعات وندابات وصناعة الغزل والنسيج والورق وفي المهن الزراعية المختلفة .

ونلاحظ أن كل ما قيل عن المرأة المصرية القديمة من الحكم والأمثال التي تناثرت عنها وكثرت يحدد فكرة المجتمع عنها وبالتالي ودورها ومكانتها عند الرجل المصري، ويتضح أن شخصية المرأة المصرية قد فرضت نفسها منذ أن فتح الإسكندر الأكبر مصر في القرن الرابع قبل الميلاد إلى طرد الروم في القرن السابع الميلادي وأثبتت أن الغزاة الرومان لم يفلحوا علي مدى عشرة قرون أو يزيد أن يغيروا من شخصيتها، ولم ينجحوا في غرس تقاليدهم وعاداتهم أو حتى نشرها بين أفراد الشعب المصري؛ حيث كانت المرأة المصرية لهما بالمرصاد تزج وتحافظ وتدافع عن التقاليد المصرية العريقة .

المرأة في العصور الوسطى :

كان العصر الوسيط في أوروبا عصرًا من عصور الظلام للمرأة الأوربية فكان رجال الكنيسة يعتبرونها مقرونة بالسوء، وهي أمر مزعج، وهي الطريق إلى جهنم، وهي وسيلة الشيطان للفساد وهي شيخ إبليس.

يقول المؤرخ فردريك هير إنه لم يمكن للمرأة في الغرب الأوربي في العصور الوسطى أي حق في أي شيء فالقانون كان خاصًا بالرجال وحدهم، والرجل هو صاحب السلطة الوحيد في العائلة وفي المجتمع وفي الدولة بل إن إحدى القواعد الثانية في العصور الوسطى كانت حقوق المرأة لا تسمع على ملأ .. هذا سوى استثناء حق واحد فقط هو الميراث فقد كان من حقها أن ترث والدها أو زوجها .

على أن المؤرخة بور توضح أن القانون الإنجليزي كان يعتبر المرأة النبيلة غير المتزوجة أو التي توفى عنها زوجها شخصية متميزة عن العامة .. فكان يهتم بحقوقها وواجباتها لدرجة المساواة بالرجل .فمن حقها حيازة الأرض الزراعية وتحرير وصية أو عقد، ولها أن تقيم دعوى أمام القضاء أو ترفع عليها الدعاوى لكن بمجرد زواجها فإن هذه الحقوق كلها تنسل من يدها ليستحوذ عليها الزوج، وإذا كانت سيدة نبيلة كبيرة السن دون زوج فإنها تمنح نفوذ أو سلطة واسعة وتصبح شخصية مهمة ذات شأن كبير من المحيط، الذي تعيش فيه ذات كيان عن أي رجل أقل منها حيازة للأرض الزراعية .

أما العصر الأندلسي فقد كان عصر ازدهار للمرأة وتقدير لها امتد عصر عظمة المرأة الأندلسية جاوز القرن الرابع إلى بعض ما يليه من خلال ذلك الأمد بل كانت المرأة مضرب المثل في جلال الخُلق وقوة النفس ووفرة العلم، والبعد عن هنات النفس الاجتماعية على الرغم من مسايرتها للرجل في طلب العلم والبلوغ وتحصيله لا تجد فيه زهوًا ولا غرورًا ولا اندفاعًا فيم ليس من حقها من شئون الحياة وما أثر عنها طول ذلك العهد أنها عاقرت النبيذ وابتذلت في مجالس الرجال " ولكن الأخلاق بقيت مع كل هذا مستمسكة في هذا الجيل من النساء

وأول مَنْ سنت للنساء سُنة الانكشاف ولادة بنت المستكفي سليلة بيت الملك الأموي في الأندلس وذلك بعد أن قتل والدها وهو آخر أبناء العهد الأموي.ففتحت قصرها مرتعًا للأدباء والمجلس للعلم .

وحديث الأدب النسوي في هذا العصر حديث شيق، وإذا قلت لك إن هناك أستاذات من النساء كن يدارسن بنات الأسر الشريفة الأدب ويروينهن الشعر فلا تظن هؤلاء على قدر محدود فيما أخذن فيه من دروس وتحصيل،

ولكنهم مع أعلام هذا العصر وأفذاذ رجاله على سواء واحد من العلم والأدب والفهم والتخريج، ومن أمثلة هؤلاء الشاعرة العروضية إحدى فتيات بلنسيه فقد تلقت النحو والعلم على يد الإمام أبي المطرق وعبد الرحمن غليون ثم فاقته فيهما، وبرزت على علماء عصرها في العروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والأمثال للقالي وشرحهما شرحًا مبينًا، وقد قرأهما عليها العالم يوسف بن نجاح، وأخذ عنها علم العروض.

ويقول ابن حزم الأندلسي في كتابه طوق الحمامة " كانت المرأة الأندلسية تتمتع بقدر من الحرية لا بأس به إذا قيس الأمر بأحوال تلك الأيام، وهي حرية تتحرك في نطاق تقاليد العصر نفسه، ومن الخطأ أن توازن بينهما وبين المرأة في العالم المتحضر على أيامنا مثلا لم يكن طابع الحياة الاجتماعية يسمح بالاختلاط في دائرة واسعة على النحو المعهود بيننا، ولكن الرجال والنساء كانوا يلتقون في ساحة الدرس وفي السمر العائلي وفي الحفلات الاجتماعية .

فهي تعمل مربية ومدرسة لأبناء الطبقة العُليا، وكانت منهن الطبيبة والحجامة والمعلمة والصناع في المغزل والمغنية وما أشبه ذلك ومن نافلة القول إن المرأة في الطبقة العُليا كانت تحسن الموسيقى وتعرف ألوانها .

أما عن المرأة في العصر المملوكي في مصر .. فتمتعت المرأة في ذلك العصر بقسط وافر من الاحترام سواء أكان ذلك داخل طبقة المماليك الحاكمة أم عند سائر طبقات الشعب .فالمماليك نظروا إلى نسائهم نظرة تفيض بالإجلال والتقدير تجلت في تلك الألقاب العديدة، التي خصصت لهن مثل بركة الدولة وبركة الملوك والسلاطين وجلال النساء والمحجبة والمصونة وغيرها .

كما يسجل موقفًا مشرفًا للسلطان قلنصوة الغوري الذي لم يتورع عن ضرب ثلاثة من المماليك ضربًا مبرحًا حتى كادوا يهلكون ورسم بسجنهم بسبب تجرئهم على اختطاف ثلاثة من النسوة في نظير ما شوشوا عليهن فدفعوا لكل امرأة ألفى درهم .

وكانت نظرتهم إلى المرأة مليئة بالتقدير والاحترام فجعلوا لهن ألقابًا مختلفة خصوصًا مثل خوند وختون وقد اعتاد بعض السلاطين من المماليك أن يصحبوا حريمهم في نزهات قصيرة إلى بر الجيزة في صحراء الهرم وهناك كانت النساء يركبن الخيول فوق سروج من الحرير الملون؛ حيث يقودها لهن بعض كبار الأمراء والمماليك يحيطون بهن ولم يكن أقل الناس احترامًا لنسائهم ومنها أنهم يطلقون عليهم ألقابًا تعبر عن رفعة شأنهم مثل ست الحُسن وست الناس وست الكل، وأيضًا من الأسماء التي لقبت بها بركة الدولة وبركة الملوك والستر الرفيع والدرة وغصن الإسلام وقرة العين، و على الرغم من القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد على المرأة فإنها استطاعت المساهمة بنصيب وافر من الحياة الفكرية والثقافية بدليل أن السخاوي أحد كُتَّاب هذا العصر قد أفرد في كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع عشر كتابًا كاملًا فيه ذكر ما يزيد عن الألف ترجمة لنساء عشن في ذلك العصر .

وكما يسجل لنا التاريخ أسماء العديدات ممَنْ اشتغلن بالنحو ونظم الشعر من أمثال فاطمة المعروفة بستيتة ابنة القاضي كمال الدين محمود، ونضار أم العز بنت أثير الدين بن حيان وغيرهن كثيرات .أما مَنْ اشتغلن بالفقه والحديث فعددهن لا يُحصى، ويكفينا أن نشير هنا إلى أم زينب فاطمة بنت عباس شيخة رباط البغدادية التي لقبها المقريزي بسيدة نساء دمشق ومصر كان لها قبول زائد ووقع في النفوس .

ويضيف مؤرخو هذا العصر مدى إقبال عامة نساء عصر المماليك على مجالس العلم والدين إذ حرصت كثيرات منهن على الذهاب إليها.

ولم تقتصر مشاركة المرأة على الحياة العامة والتدخل في بعض شئون الدولة، وإنما شاركت أيضًا مشاركة فعَّالة في الحياتين العلمية والدينية، وسجل التاريخ أسماء كثيرات ممَنْ اشتغلن في عصر المماليك بالنحو وحفظه كما نظمن الشعر .أما مَنْ اشتغلن بعلوم الفقه والحديث فعددهن لا يُحصي ,ودأبت كثيرات منهن على التنقل بين الشام ومصر شأن فقهاء ذلك العصر للسماع من كبار المحدثين والعلماء، ولم يأنف هؤلاء الفقهاء مع عظم مكانتهم الاعتراف بذلك، ومثل ذلك ما يقوله الفقيه الكبير شمس بن حجر من أنه حصل على إجازتين الأولى من مس بنت ناصر الدين والثانية من خديجة بنت الصياد الصالحة .

ولم يقتصر نصيب المرأة في الحياة العامة على الاشتغال بالفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية بل شاركت أيضًا مشاركة فعَّالة فيما يتعلق بالحياة اليومية ساعية إلى كسب قوت يومها كل جنبًا إلى جنب مع الرجل

وأما عن الفلاحة في الريف المصري فيبدو أنها كانت كما هي اليوم تنهض بنصيب في الحياة لا يقل جهدًا أو مشقة عن نصيب زوجها إذ كان يقع عليها عبء جلب مياه الشرب من النهر أو الترعة وغسل الملابس فيها وعمل جواليس الجلة ليليسوا بها بيوتهم وأفرانهم هذا بالإضافة إلى إرضاع الأطفال وإعداد الطعام لزوجها وإيقاد الفرن لخبز الخبز وتدميس الفول وطبخ البيسار وتقميد البتاو .

المرأة في العصر الحديث:

لقد تغيرت أحوال المرأة تغيرًا كبيرًا في بداية العصر الحديث ومع بداية الثورة التجارية وبوابة عصر النهضة فخرجت المرأة للعمل، وبدأت تنادي وتدافع عن حريتها وحقوقها، وأثارت ضجة كبيرة، وشاركت على مستوى العالم كله في حركات التحرير والحركات الإصلاحية ..وكأنها تقول للرجال أنتم لا تعرفون حقوقنا، ويجب أن نحصل عليه بأنفسنا .

كانت نهاية الحرب العالمية الأولى بداية لانطلاق المرأة المصرية وتغييرًا لأوضاعها وذلك بعد أن اجتازت مرحلة طويلة في صراع ومحاولات للوصول إلى إثبات وجودها خصوصًا بعد أن مثل أمام عينيها ما وصلت إليه المرأة الأوربية من نجاح أثناء الحرب .

وجاءت الفرصة بقيام ثورة1919 م تلك التي ارتبطت بثورة المرأة المصرية ونهضتها؛ إذ هبت عقر دارها لتتنفس عما يجيش بصدرها مندفعة وراء ذلك نزعة وطنية قوية وبرغبة أكيدة للتخلص من الأسر فنزلت إلى ميدان الكفاح، وكان أول عمل تقوم به تنظيم مظاهرة في/16 مارس1919/م .

وبذلك أعطت ثورة1919 م الثقة للمرأة بعد أن شاركت بنصيب له ثقله فيها، وأصبح دورها موضع الحديث في كل مكان، ونظمت فيه بيوت الشعر، وتغنى بها الناس ومن ثم تخلصت فكرة تحرير المرأة من قيودها القديمة ودخلت مرحلتها العملية، وانغمست المرأة في السياسة وعبرت عن ذلك .. بتلك المظاهرات التي شهدتها العاصمة إذ تجمعت فيها وفود من القاهرة والإسكندرية وطنطا تحت زعامة رئيسات الجمعيات في مشهد عبر عن نهضة المرأة المصرية رافعين الأعلام، وطفن على دواوين الوزراء معلنات رأيهن ورغباتهن .

أما في العصر العثماني : ونظام الحريم الذي فرض على المجتمع الغربي والذي فرق بين الرجل والمرأة وفرض للرجل كل الحرية في منزله وخارجه وفرض على المرأة القعود في المنزل وخارجه بسبب وبغير سبب.

وقد بدأ تعليم الفتاة في العالم العربي في المدارس الأجنبية والتبشيرية، التي انتشرت في العالم العربي، ولم تنشأ مدارس عمرية لتعليم البنت قبل الربع الأخير من القرن التاسع عشر بإنشاء مدرسة السيوفية الثانوية في القاهرة

1873م ثم مدرسة الغربية الابتدائية بالقراءة، وانتقلت فكرة إنشاء مدارس البنات المصرية إلى سوريا فأنشئت المدرسة الرشيدية سنة1886 م ثم تتابع إنشاء مدارس البنات في العالم العربي؛ لأن نمو هذه المدارس كان ولا يزال محدودًا وبطيئًا فلم تبدأ مدارس البنات في النمو السريع في العالم العربي إلا بعد الحرب العالمية الثانية وتحرر البلاد العربية من الاستعمار وتغير كثير من المفاهيم في العالم العربي بعد الحرب بما في ذلك النظر إلى المرأة وإلى تعليم الفتاة والحاجة الاقتصادية في بعض البلاد العربية إلى عمل المرأة .

وكان لثورة التحرير التي قادتها المرأة في شتى بقاع العالم وبطرق مختلفة وأساليب مختلفة وتحركات متغيرة .. عقد مؤتمر نسائي عالمي في مدينة كوبنهاجن بالنرويج سنة 1910 وقد حضرته 100 عضوة يمثلن 16 دولة، وفي هذا المؤتمر نوقشت مشاكل النساء ونضالهن، وكان المطلب البارز حينئذ هو إعطاء المرأة حق التصويت وفيه اقترح يوم 8 مارس من كل عام يومًا عالميًا للمرأة

ومما قالت السيدة هدى شعراوي في إحدى جلساتها التابعة لتحرير المرأة" لقد جاء الإسلام فمنح المرأة حقوقًا لم تحصل عليها من قبل التي تقاتل وستقاتل المرأة العربية في سبيل الحصول عليها اليوم وغدًا وبعد، وقد احتفظت المرأة حتى الساعة بهذه الحقوق التي يعترف القانون بها غير أنها لم تفكر في استعمالها بسبب الجهل الذي شبت فيه ودرجت عليه أربعة قرون متكاملة .

يقول الكاتب خالد محمد خالد " إن ممارسة المرأة لحقوقها لن يزيدها إلا سموًا وشعورًا بالكرامة، وأن العفة التي تغارون عليها لا يجرحها إلا الحرمان والكبت "ويقول وهذه العفة لا تصونها ولا تعصمها جدران كهف أو بيت بل جدران النفس الباطنة والمنعة الذاتية الحرة التي تنشئها الثقافة واحترام الذات وممارسة الحقوق "

ويقول أحمد لطفي السيد في إحدى مقالاته " إذا غصب الرجل حق المرأة في المساواة وحقها في الانتخاب والتوظيف فلقد غصبته حريته وأقامت نفسها عليه ملكًا لا يرحم عند المقدرة، ولا يجامل عند الحاجة ولا يعذر عند الذلة "

أما المرأة الأمريكية فتقول إحدى الكاتبات:

كانت النساء السود هن الفئة الوحيدة من السيدات المتزوجات اللائي يعملن بكثرة كخادمات، ويرجع ذلك بصفة عامة إلى أن التميز العنصري حدد خياراتهن، وكانت الأسرة من السود تحتاج إلى مسكن ولأن لديهم أسرًا وأطفالًا فقد قامت لشدة ضغط المستخدمين للإقامة في بيوتهم، ووضعت بذلك شكلًا جديدًا للعمل النهاري والذي أصبح سائدًا بعد عام1900 م .

وتقول الكاتبة عن مرحلة التحرير) :وبعد التحرير أصبحت النساء يأبين التكيف مع أزواجهن وأشد ما يكون عائقًا هو الخيانة الزوجية فكان الرجل قديمًا يخون زوجته، والآن أصبحت الخيانة في الطرفين داعيًا إلى الغيرة والمصارحة بعدم الثقة، وبالتالي تنشأ الخلافات وثمة مشكلة تواجه الأزواج هي تعسر الفهم ومضى الحب ومنذ الحرب العالمية الأولى تغيرت النظرة التقليدية إلى الزواج وإلى العلاقات الجنسية عمومًا في أمريكا وإنجلترا تغيرًا هائلًا كثيرًا جدًا من بنات العائلات المحترمات لم يعد يرين أنهن مطالبات بالعفة، وصارت لهن علاقات بشبان كثيرة، وأعتقد أن هذا متاح بسبب وفرة السيارات التي تمكن فيها الخلوات مع الفتيات .

وللصهيونية العالمية دور كبير في توجيه دور الأزياء العالمية والتخطيط بعري المرأة باسم اللباس حتى تذوب آدمية المرأة والرجل على السواء، ويبقى لشعب الله المختار المزعوم دوره في قيادة البشرية.

وكما أن للمرأة المسلمة والعربية دورًا كبيرًا إلا أن المرأة الإسرائيلية بدأت تثبت حركتها عبر التاريخ وخروجها من شرنقة الركود .ولم تشترك المرأة الإسرائيلية مع الرجل في الهجرة إلى فلسطين في هذا الوقت المبكر فقط بل اشتركت معه في جميع الأعمال التي وضعت لتؤدي إلى قيام إسرائيل والقضاء على فلسطين، ومعنى ذلك أنها لم تحضر جهودها في إطار الأعمال الأنثوية أو التي يعتقد أنها وقف على المرأة بل تعدى عملها في فلسطين إلى زراعة الأرض ورصف الطرق وإقامة المؤسسات التي تقوم بعملية البناء والتشييد، هذا فضلا عن رعاية المرأة اليهودية من ناحية تهيئتها للبيئة الجديدة نفسيًا وإعلاميًا والقيام بالأعمال اللازمة لتوجيه القادة الجدد من دول أوروبا.

ولم يكن ذاك عمل المرأة اليهودية خارج إسرائيل في سبيل إلهامها الفعَّال مع الرجل اليهودي من أجل قيام إسرائيل بل تعدى ذلك إلى القيام بالدعوة إلى اشتراك جميع الجنس اليهودي في الجهد الصهيوني وأنشطته المختلفة وإقناعهم بدفع المبالغ الضخمة كهبات وتبرعات بدون مقابل أو في شراء أسهم الشركات الصهيونية التي قامت من أجل شراء الأراضي المملوكة لأهالي فلسطين العرب.

وأما أوربا الجديدة فقد أنصفت المرأة إنصافًا شديدًا، وقامت ثورة فرنسا الشهيرة، وكان من ما أتت به أن تناولت بالإصلاح والتهذيب النظريات القائلة بذلة المرأة ومهانتها أيضًا قوانين العشرة والاجتماع، التي كانت قد وضعت النساء في مستوى الجواري والإماء في واقع الأمر .

ثم نما هذا النزوع في القرن التاسع عشر وما كاد يبتدئ القرن العشرون حتى بلغ نظام الاجتماع العربي نهاية الانخراط والتباعد عن القصد، وهذه النظريات مبنية على محاور ثلاثة:

- المساواة بين الرجال والنساء.
- استقلال النساء بشئون معاشهن.
- الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء .

وجاء التصور الخاطئ للمساواة الخُلقية يساوي بين الرجال والنساء في التبذل وفساد الأخلاق ولنجد تلك المخزيات التي كان يتحرج من عملها الرجال من قبل لا تستحي من ركوبها بنات حواء في المجتمع العربي الحديث .

وقد أثار الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء غريزة التبرج والعرى في النساء وزواجهن تلوثًا بالفواحش، وهذا العري يزداد قوة واشتدادًا باختلاط الجنسين وتخطى حدوده بكل سهولة .

فقد ازدادت ولا تزال في المرأة غريزة التجمل وحب الظهور بالمظاهر الجذابة للرجال إلى حد أن لا تكاد تقتنع نفسها بأنها الوثابة المتطلعة بالملابس البراقة الفاتنة وأسباب الزينة المتجددة من الرش والأصباغ والحلي بل تطمع إلى ما وراء ذلك فتكاد تتجرد من ملابسها، وتريد أن تستر جسمها هدية ثوب منها .

ولك أن تقدر تهاون الفرنسيين بالزنا وكيفية كونه غير معيب في أخلاقهم أن معلمة في بعض المدارس جاءت بحمل في سنة1928 م مع كونها عذراء .

وكان بين رجال المعارف أشياع الفكر القديم فرفعوا عقيرتهم بالسخط والإنكار ووفد على وزارة المعارف نفر من أعيان الأمة ووجهائها، واحتجوا عندها على ما فعلت المعلمة، ولكن الوزارة دافعت عنها بالحجج التي وجدوها فيها من القوة والرجاحة سوى أن يخلى سبيل المعلمة .

ما للناس والتدخل في الحياة الشخصية.

ما الجريمة التي قد ارتكبتها المعلمة ؟

أليست صيرورة المرأة أما بدون الزواج أدنى إلى الطريق الديمقراطي .

وقد بلغ الانحطاط الخُلقي إلى المدرك الأسفل أنه لم يعد من الغريب الشاذ وجود العلاقات الجنسية بين الأقارب في النسب كالأب والبنت والأخ والأخت في بعض الأقاليم الفرنسية وفي النواحي المزدحمة في المدن وعن آثار الفساد والفجور والاضمحلال في فرنسا .

يقول طبيب فرنسي نكاسي يدعى الدكتور ليريو) إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهري وما يتبعه من الأمراض الكثيرة في كل سنة، وهذا المرض هو أفتك الأمراض بالأمة الفرنسية بعد حمى الرق، وهذه جريرة مرض واحد من الأمراض السرية التي فيها عدا هذا أمراض كثيرة) .. وإن الزنا بالمحصنات والمحصنين لا يعد من العيب أو اللوم في فرنسا فإذا كان أحد من المحصنين متخذًا خليلة دون زوجته فلا يرى لإخفاء الأمر من اللزوم، ويعد المجتمع فعله ذلك شيئا عاديًا طبيعيًا في الرجال .

وعن تأثيره على الأطفال يكتب القاضي بن الندى الذي أتيح له الاطلاع الواسع على أخلاق النشء الأمريكي لكونه رئيسًا لمحكمة جنايات الصبيان.

يكتب في كتابه تمرد النشء الجديد أن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ومن السنة المبكرة جدًّا يشتد فيهم الشعور الجنسي، ويحدث هذا القاضي عن أحوال312 صبية منهن قد أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من شتى أعمارهن يوجد فيها من عادات الشهوة الجنسية والمطالبة الجنسية ما لا يكون عادة إلا في بنات الثامنة عشرة فمن فوقهن سنًا .

وعلى لسان اللجنة الأربعة عشرية .. لقد جاء في تقريرها) إن كل ما يوجد في البلاد الأمريكية من المرافق والنوادي الليلية ومحال الزينة وحجرات التدليك ومراكز تمويج الشعر قد أصبحت جلها مواطن للفجور ودور للبغاء بل هي أقبح منها وأشبع لما يرتكب فيها من الرذائل التي لا تصلح للذكر .

ثم خلفتها في أرض فرنسا بعد ثلاثين سنة طائفة أخرى من رجال الأدب وعلماء الأخلاق وكتاب المسرحيات كان على رأسهم ألكسندر روما وألفرناكه استفرغوا جهودهم لإشاعة الغارة القائلة بأن الحرية والتمتع بلذات الحياة في ذاته حق فطري للإنسان.

وهذا بول روبين و بيرالوي يقودون الجرأة الماجنة في الشباب فيقول بول روبين :عليكم بالتهذيب والتعقل والرشد .فإنه لا حق لمَنْ يختار لنفسه صنمًا واحدًا في صومعة الحب، ويقيم على عبادته دون غيره وإنما ينبغي للمرء أن ينتخب صاحبًا جديدًا لكل ساعة من ساعات لذته ومجونه .

يريد بهم الرجال والنساء الذين يستغلهم رجل أو امرأة لقضاء لذته وتقدم بيرالوي هؤلاء جميعًا فأعلن بملء فيه أن القيود الأخلاقية هائلة في الحقيقة دون نمو الذهن الإنساني ونشوء مداركه وما دام الإنسان لا يحطم أثقالها ولا يتمتع بلذات نفسه وجسده بتمام الحرية فلا يمكن ارتقاء عقلي أو علمي أو مادي أو روحي . وقد كان بيرالوي هذا من أبرز كُتَّاب عصره وله تلامذته ساروا على نهجه .. ويكتب رسبيل زعيم الحزب الديمقراطي الألماني بلا حرج : وهل الرجل والمرأة إلا نوع من الحيوان، وهل يكون بين أزواج الحيوانات شيء من قبيل النكاح بل النكاح الأبدي .

ويقول الدكتور درسيدل : إن العلاقة المطلقة من قيد النكاح مظهر للخلق العلي إنها أنسب إلى نواميس الفطرة . ويصرح بول روبين الزعيم المالطوسي المشهور في فرنسا :من المغتنم أننا قد بلغنا من النجاح في مساعينا لمدة ربع القرن الماضي أنه قد أصبح ولد الزنا في منزلة أولاد الحلال فلا يبقى بعد إلا أن يكون أولادنا جميعًا من هذا النوع الأول فقط حتى نستريح من هذه الموازنة بين النوعين من الأولاد .

ويقول الكاتب : إن المبدأ الرئيسي للديمقراطية الجديدة أن الناس بيد أنفسهم حكمهم وتشريعهم وإلى أنفسهم كل التصرف في القوانين يضعونها كما يشاءون ويبدلونها إذا كرهوا فيها أشياء .

إن تحرير المرأة جزء لا يتجزأ من الحركة الديمقراطية، وكانت البداية هي الثورة الفرنسية التي غيرت قوانين الوراثة لصالح البنات.

ثمرة الأفكار التي سببت الثورة الفرنسية والأفكار التي تسببت عنها ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا تأكدت حقوق المرأة في المطالبة بالمساواة بالرجل بمزيد من الإصرار والقوة والنجاح .

وانحصرت الحركة النسوية في ذلك الحين داخل دائرة الطبقات العُليا والوسطى؛ ولذا لم تكن لها قوة سياسية كبيرة، وكان يقدم كل عام للبرلمان اقتراح بقانون يمنح المرأة حق الانتخاب من نائبين، ولكن القانون كان يرفض في كل مرة بيد أن أنصار المرأة من الطبقة الوسطى في تلك الأيام أحرزوا نصرًا كبيرًا في محيطهم الخاص وذلك بصدور قانون الملكية الخاصة للمرأة المتزوجة في1882 م وكانت أملاك المرأة المتزوجة قبل صدور هذا القانون تحت التصرف الكامل للزوج .

إن تحرير المرأة جعل الزواج أصعب مما كان فيما مضى من وجود شيء بأن فرض الماضي أن على الزوجة أن تكيف نفسها بالزوج .أما الزوج فلم يكن مطالبًا بأن يكيف نفسه بالزوجة أما اليوم فكثيرات من الزوجات استنادًا إلى حق المرأة في التمسك بقرويتها والتمسك بحالتها العملية يأبين التكيف بأزواجهن إلا في حدود معينة في حين يظل الرجال المتمسكون بتقاليد سطوة الرجل وسيطرته رافضين بطبيعة الحال التكفل بكل ما يقتضيه التكيف الضروري بين الزوجين .إن انحلال تماسك الأسرة في الأزمنة الحديثة راجع بلا شك في أساسه إلى الثورة الصناعية .

وبدلًا من أن يكون للأب كما كان للرومان حق الحياة والموت على أبنائه صار الأب الإنجليزي عرضة للمحاكمة بتهمة القسوة لو كان عامل أطفاله عين المعاملة التي كان الأب منذ مائة سنة فقط خليقًا أن يراها كفيلة لحُسن تنشئتهم.

إن الدولة الآن تقدم الرعاية والتأمين الصحيين، وتتولى طعام الأطفال إذا كان والدهم معوذين، وهكذا هبطت وظائف الأب إلى الحد الأدنى؛ لأن معظم وظائفه السابقة أخذتها الدولة على عاتقها، ولا مفر من هذا مع تقدم الحضارة.

إن الحرية الجديدة التي سوف تمارسها المرأة المصرية خاصة والعربية عامة من خلال الخروج إلى مجال التنمية والإنتاج الاجتماعي الاقتصادي والسياسي .. سيغير من علاقة المرأة بذاتها وبجسدها، وبالتالي من علاقتها بالرجل وبالمقابل من إدراك الرجل لها .. وما يترتب على ذلك من تحول في إدراكه لنفسه لا بوصفه سيدًا مهددًا في سيادته وإنما بوصفه شقه الآخر.

الذكر في مجتمعنا الشرقي يحمل اسم العائلة ويحافظ عليها، وبالتالي على وجودها واستمرارها وذلك على العكس من الأنثى التي سوف تنتقل في آخر الأمر بالزواج إلى عائلة أخرى لكي يحمل أبناؤها اسم تلك العائلة أي أن القوة الإنجابية للأنثى تصبح من نصيب عائلة زوجها بينما تحرم منها عائلتها الحاضنة إلا إذا تزوجت من أحد أقاربها العاصبين مثل العم.

والمرأة الريفية تحمل القسط الأكبر من تنشئة الأطفال الاجتماعي منذ سن مبكرة، وهي بالإضافة إلى ذلك ذات دور بارز في اقتصاديات الأسرة فهي عاملة ومشرفة ومديرة ومسئولة عن جعل البيت في حالة مستديمة وثابتة من الاكتفاء الذاتي لا ينقصه شيء من المثوبة .

والمرأة الريفية المصرية من أكثر النساء نشاطًا، وكانت أكثر إسهامًا في التنمية الاجتماعية والاقتصادية من زميلتها الحضرية، ولم تعرف الحجاب على العكس من المرأة الحضرية، وهي تساعد زوجها على مواجهة مطالب الحياة كما تقوم بالعديد من الأدوار الاقتصادية في مختلف مجالات النشاط الزراعي والحيواني والمنزلي والصناعات البيئية وتميز هذا الدور إلى تسويق المنتجات المحلية لتسهم بذلك في دعم الأسرة ومقابلة حاجاتها الأساسية .

المرأة في الجاهلية :

قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة ووقفت على رأسها فإذا ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردم عليها التراب، وإن ولدت غلامًا حبسته أي أبقت عليه .

وذكر القرطبي في التفسير كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرًا، ويقولون لا يعطى إلا مَنْ قاتل على ظهور الخيل وطاعن بالرمح وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة .

ووجدت عدة أنواع من الأنكحة في العصر الجاهلي منها :

نكاح الاستبضاع :كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلك إلى فلان فاستبضعي منه ويعزلها زوجها حتى يتبين حملها فإذا تبين أصابها إذا أحب .

نكاح آخر :يجتمع الرهط على امرأة وكلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال أرسلت إليهم ثم تنسب ابنها إلى أيهم أحب إلى قلبها .

نكاح البغايا :وكانت البغايا تسمى ذوات الرايات الحمر فإذا حملت ووضعت جمعوا لها ودعوا لها القافة وهم الخبراء ليعلموا الشبه بين الولد ومَنْ جامعوها ثم يلحقون ولدها بالذي يرونه مشابهًا له .

نكاح المقت :أن يتزوج الولد امرأة أبيه .. وقال القرطبي في تفسيره وقد كان في العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل امرأة أبيه، وكانت هذه السيرة في الأنصار لازمة، وكانت في قريش مباحة مع التراضي.

نكاح البدل :وهو أن يتبادل زوجان زوجتيهما بدون طلاق وعقد جديد .

ولأبناء العقائل الكريمة نماذج مليئة بالعزة والفخر وحرصًا منها على كرامتها وعزتها وكانت أم حاتم الطائي شديدة الجود وورثه عنها ابنها حاتم الطائي .

وما ذكر في تاريخ الأثير .. ما رواه ابن هشام في السيرة عن دور المرأة في حلف الطيبين، الذي كان بين بني عبد مناف ومَنْ انضموا إليهم في خلافهم مع بني عبد الدار بعد وفاة قصي بن كلاب فلقد أخرجت نساء بني عبد

مناف خفة مملوءة طيبًا ووضعها بنو عبد مناف لأحلافهم في المسجد الحرام عند الكعبة فغمس القوم أيديهم فيها ثم مسحوا الكعبة توكيدًا على أنفسهم ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا .

فكانت المرأة العربية في البادية خصوصًا تعمل كل ما تستطيع أن تعمل لخدمة أسرتها وقبيلتها، وتعمل كل ما تستطيع أن تعمل لإتقان عملها وتجديد خدمتها .

ومن المعلوم أن المرأة كانت قبل الإسلام إذا مات زوجها كان أهله أحق بها فيأتي وارثه، ويلقي عليها ثوبه، ويمنعها عن الناس ثم إن شاء تزوجها إن كانت جميلة أو زوجها لغيره إن لم تحلُ له أو يحبسها عن الزواج ونهى الإسلام عن ذلك .

وعن موضوع وأد البنات فكن العرب مشهورين بذلك، وكان دافعهم لذاك خوف العار، ولعل أول مَنْ دعا إلى هذه الخصلة الذميمة أن بني تميم منعت الإتاوة المفروضة عليهم للنعمان بن المنذر ملك الحيرة فحاربهم بحملة استاقت أغنامهم وسبت نساءهم، ولكن قيس بن عاصم شيخ تميم أرسل إلى النعمان ليسترد سباياه من النساء وحكم النعمان بن المنذر أن يجعل الرأي في ذلك إلي النساء لأية امرأة اختارت زوجها ردت إليه فاختلفن في الخيار وكانت فيهن بنت قيس بن عاصم فاختارت سابيها عمرو بن المشمرح على زوجها فعاد قيس بن عاصم وقد اشتد غضبه ونذر أن يدس كل بنت تولد في التراب فوأد ثماني بنات وقتل بضع عشرة بنتًا .

قال ابن كثير عن قوله تعالى) ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (كانت المرأة في الجاهلية تمشي في الطريق وفي رجلها الخلخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذا إذا كان شيء من زينتها مستورًا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي فدخل في هذا النهي لقوله تعالى) ولا يضربن بأرجلهن .(

كانت المرأة قبل الإسلام تجلس إلى الرجال وتجاذبهم الحديث سافرة غير محتشمة، وكانوا يسمونها البرزة كما كان هناك مَنْ تتحشم بحيث ترضي قناعتها إذا خرجت من بيتها، وكانت تغشى مجالس الرجال وتطرق أنديتهم وتخطب في محافلهم ومشاهدهم لا في الخطب الملح والأمر المهم فحسب بل في كل شيء .

وكانت الصورة العامة لعدم الزواج عند العرب السفاح، وهو أن يعاشر الرجل امرأة فترة من الزمن فإذا أعجبته تزوج بها وإلا تركها .

أما عن حركة التحرر والتطور عند المرأة المصرية

فإن بشائر الأمل في التحرر قد بدأت عندما أصدر رفاعة الطهطاوي سنة 1873 م كتابه المرشد الأمين في تربية البنات والبنين الذي كتب للمرة الأولى في العصر الحديث عن حق التعلم للمرأة وفي العمل، وقال تعليم الفتيات أهم من تعليم الفتي؛ لأنها تؤثر على الأسرة كلها، ولا بد أن زوجة الخديو تأثرت كثيرًا بآراء رفاعة الطهطاوي فأنشأت أول مدرسة البنات السيوفية بالقاهرة .

عند بلوغ المرأة المصرية القرن التاسع عشر الميلادي كانت مدفونة في كهف سحيق من الجهل والاستعباد والأفكار الرجعية والعادات المذرية، التي جعلت منها ما يشبه الأمة المقيدة بنظرة دونية من المجتمع أو الجارية التي خلقت من أجل الآخرين وسعادته فهي ليست إلا مجرد وسيلة لإسعاد الرجل وراحة الأسرة فهذا هو الفلك الذي يجب أن تدور فيه المرأة ولا تخرج عنه، ولم يتجاوز حقها في الحياة جدران البيت الذي تعيش فيه .

وفي سنة 1892 م ظهرت أول مجلة نسائية وهي مجلة الفتاة التي رأست تحريرها هند نوفل، وهي فتاة لبنانية، وصدرت مجلة العائلة سنة1899 م وهي نصف شهرية وتوالي صدور المجلات النسائية .

وعهد محمد علي لكلوت بك بإنشاء مدرسة للبنات، ولكن الجنود رفضوا إلحاق بناتهم بها وفضلوا العقاب على ذلك مما اضطره إلى إلحاق الجواري والساقطات ليكن نواة لهذه المدرسة وبدأت الدراسة بها 1836 م

وكانت نظرة المجتمع لهم تتسم بالاحتقار حتى أن أحدًا لم يتقدم للزواج منهن مما جعل محمد علي يلزم خريجي مدرسة الطب العُليا بالزواج من خريجي مدرسة المولدات .

ويعتبر أحمد لطفي السيد من رواد تحرير المرأة ويقول في إحدى مقالاته " كانت ترمي هذه الحركة النسائية في مصر إلى غرض أصلي كبير هو تربية المرأة المصرية وتعليمها حتى تشعر بذاتها بوجود خاص وشخصية مستقلة لتستكمل حظها هي أيضًا من الكمال الذاتي ولتنتفع وتنفع بخير الحرية المفيد التي ما منعتها إياه شريعتنا، ولكن أنانيتنا وفرط غيرتنا.

تحدد الثقافة الريفية علاقة الرجل بامرأته والتي ينبغي أن تكون مطيعة لزوجها و تحت سيادته ومنقادة له كما لا ترضى عن الرجل إلا إذا كان مسيطرًا على زوجته وسيدا لها وبالتالي فإن تعليم المرأة وتحريرها كان له أثر غير مقبول عند الرجل الريفي، وهو ما زاد من جهد الدعوة إلى تحرير المرأة عند من انشغلوا بها .

وجاء من بعد رفاعة الطهطاوي الإمام محمد عبده الذي وصل إلى منصب مفتي الديار المصرية وإنما دعا إلى ضرورة تعليم المرأة وتحسين ظروفها الاجتماعية واعتبر ذلك أمرًا جوهريًا .

ثم جاء بعد ذلك قاسم أمين، وكان نشيطًا ومهتمًا بالقضية اهتمامًا كبيرًا متحديًا كل مَنْ عارضوه، وظهرت بعد ذلك السيدة ملك حفني، وكانت كاتبة وشاعرة و اشتهرت باسم باحثة البادية، وتعتبر واضعة الحجر الأساسي للحركة النسائية في مصر وتبعتها هدى شعراوي ثم توالي بعد ذلك النشاط النسائي وتأسست الجمعية المصرية للحركة النسائية عام1923 م برئاسة هدى شعراوي .

وبرز دور الفتيات المصريات في أحداث عام1935 م وعام1936 م وكذلك النضال أثناء الحرب منذ عام 1948م .ففي حرب فلسطين وعلى الرغم من أن النساء المصريات لم يكن قد اعترف بوجودهن الاجتماعي أو حصلن على حقوقهن في ذلك الوقت فإنهن مع الفتيات المصريات جنبًا إلى جنب قد شاركن في المعركة بجهودهن وتطوعن عن طريق الهلال الأحمر والمنظمات النسائية الأخرى في خدمة الجيوش، ووقفن كممرضات وطبيبات وعاملات وراء صفوف الجيش، وتعرضن لما تعرض له الرجال في هذه الحرب .

ولقد كانت المرأة المصرية أثناء الثورة وفي مقدمتها هدى شعراوي علي وعي تام بأهمية الوحدة الوطنية وقد تعمدت أن تجمع الأحداث بين كل المصريات، وكانت أغلب الاجتماعات تتم في الكنيسة بحضور المسلمات والمسيحيات.

وكما سقط الألوف من الأطفال والشبان الشيوخ في سبيل وطنهم ذكرت أسماء النساء المصريات الباسلات اللاتي سقطن فداء مصر برصاص الإنجليز، وكان لاشتراك النساء في حركات النضال الوطني ولنشاطهن المبهر في الساحة ما جعل الاتحاد العالمي النسائي يرسل دعوة إلي البارزات من نساء مصر لمشاركتهم في اجتماعاتهم وكان له دور بارز في إنشاء الاتحاد النسائي المصري .

وفي يناير سنة 1922 م بينما سعد زغلول منفي بجزيرة سيشل اجتمعت السيدات المصريات في جلسة فوق العادة، وقررن إعلان المقاطعة العامة لكل ما هو إنجليزي من بضائع وأشخاص سواء أكانوا تجارًا أم موظفين أو أطباءً أو صيادلة وفي الوقت نفسه بدأت الدعوة إلى الصناعات الوطنية وتشجيعها .

ولم يقتصر طريق الكفاح الذي سلكته المرأة على ما بذلته من مجهودات لتغيير مركزها في المجتمع على أرض مصر فقط، ولكنها كانت من الذكاء بحيث نقلت خطوات تقدمها إلى الخارج لتعطي الشكل الصادق والواضح عن الكيان الجديد للمرأة المصرية، ولتقضي على الصورة القائمة لها والمثبتة في الأذهان والأوربية هذا من ناحية ورغبة منها في الحصول علي المزيد من المكاسب الخارجية لتحيطها بالثقة .

إذ يمكن القول إن المشاركة الاجتماعية التي أقدمت عليها المرأة وطرقت مجالها وعملت فيها بجد وإخلاص واضعة أمامها حتمية تحقيق أهدافها مثلت دورًا كبيرًا في عجلة التطور التي صاحبها التغيير في كيان ووضع المرأة في المجتمع.

مواكبة المرأة لموكب التقدم

وعرفت مكانة المرأة المصرية خارج مصر منذ بدء المفاوضات مع إنجلترا أو مثلث السيدات اللاتي رفضن المفاوضات وجودًا في الاجتماعات، وكان لأم المصريين صفية زغلول نصيب كبير، وتحدثت الصحافة الأجنبية عامة والإنجليزية خاصة عن زينب الوكيل زوجة مصطفى النحاس، ونالت زوجات محمود العقاد ومكرم عبيد وكريمتي حمدي سيف النصر بإعجاب المجتمع الأوروبي وأعطيه صورة للمرأة المتطورة حتى لقد أعجب الساسة الإنجليز بما بدا على المصريات من ثقافة .

ويمكن القول بأن المشاركة الاجتماعية التي أقدمت عليها المرأة وطرقت مجالاتها وعمت فيها بجد وإخلاص واضحة أمامها حتمية تحقيق أهدافها مثلت دورًا مهمًا في عملية التطور التي صاحبها التغيير في كيان ووضع المرأة في المجتمع .

ومع ثورة 1919 م وخروج المرأة للمشاركة الوطنية تفجرت مسألة عمل المرأة وارتبطت بالتعليم؛ حيث سار الطرفان جنبًا إلى جنب يكافحان من أجل إثبات وجودهما، وتردد السؤال ماذا تفعله المرأة المتعلمة، واستنتج ذلك ظهور الدعوة إلى العمل فصدر أول كتاب عن المرأة المتعلمة، وصدر أول كتاب عن المرأة والعمل لنبوية موسى صاحبة الدعوة لتحرير المرأة .. وتولت أجهزة الإعلام عرض القضية من مؤيد وهو الاتجاه الغالب ومعارض.

وهكذا يبين أن التغير الذي طرأ على مركز المرأة أصبح واضحًا، وأنها نجحت في تحقيق ما سعت إليه وكان هناك بعض التغيرات فهذا حال أي تغير إذ لا بد من أن تصحبه شوائب يمكن لها أن تزول مع زيادة قدر الثقافة أما المرأة الريفية فلم تخضع لتغيير جوهري في حياتها فهي تتمتع بحريتها في سفورها وخروجها واختلاطها وعملها في الزراعة وانطلاقها كل ذلك أعطاها شخصية متميزة بعدت فيها عن التعقيدات التي قابلت المرأة في المدينة.

ولم يقتصر طريق الكفاح الذي سلكته المرأة على ما بذلته من مجهودات لتغيير مركزها في المجتمع على أرض مصر فقط ولكنها كانت من الذكاء بحيث نقلت خطوات تقدمها إلى الخارج لتعطي الشكل الصادق والواضح عن الكيان الجديد للمرأة المصرية، ولتقضي على الصورة القائمة لها والمثبتة في الأذهان الأوربية هذا من ناحية ورغبة منها في الحصول على المزيد من المكاسب الخارجية لتعطيها الثقة . في المؤتمرات النسائية التقت نساء مصر بنساء العالم ونساء البلدان المستعمرة، وشهدت تلك نداءات عدة من نساء العالم لنضال شعبنا، كما لعبت محلية